الطب المصري القديم

معارفهم الطبية ووصفاتهم وأمراضهم

للدكتور حسن كمال

﴿ تمهيد ﴾ كان الاعتقاد السائد بين كثير من الأوربيين الى عهد قريب ان الطب المصري القديم اكثر اتصالاً بالسحر منهُ بالعلم . لان الادراج البردية الخمسة او الستة التي كانت معروفة الى ذلك العهد لم تحو الكثير من العقاقير الهامة (وان كان بعضها لا يزال مستعملاً الى الآن في كثير من الامراض) ولكنها حافلة بالتعازيم والدعوات التي كانت تتلى على المرضى وقت تعاطي الدواء . وهذا القول قريب من الحقيقة الى حدٍّ ما . خصوصاً اذا لاحظنا ان بعض الوصفات كانت تعازيم سحرية او دعوات قدسية . وفي درج منها لم يتم الكاتب بذكر مقادير العقاقير اللازمة للعلاج مع اهتمامه بذكر الدعاء الخاص للحالة . ثم اننا اذا فحصنا محتويات كل درج على حدة وجدنا انها لم ترتب بعناية تامة . كذلك العقاقير المذكورة في الوصفات كانت تختار احياناً من مواد ذات فعل سحري مثل لبن امرأة حملت ذكراً او مواد غاية في القذارة على اعتبار ان اقذر العقاقير أنجعها مثل براز التمساح أو دم الفأر

هذا باختصار كان رأي معظم الأوربيين الى عهد قريب . لكننا كلما تعمقنا في الموضوع وزدناه فحصاً وتمحيصاً اتضح لنا ان علم الطب كان منتشراً في القطر بانتظام وعناية . وان وصفاته المذكورة تحوي آلاف من اسماء النباتات والعقاقير المجهولة المعنى . وان البعض من العقاقير المعروفة قد ثبت فعلهُ وعمَّ استعماله وأضحى الآن بين العقاقير التي نصفها في تذاكرنا الطبية اليومية لمرضانا . ثم ان الباحث النزيه في الادراج البردية المذكورة يجد فيها بيانات هي في الحقيقة اساس الطب الحديث . فالقلب فيها معتبر مركز الاوعية . وهذه موصوفة بأنها منتشرة في سائر اجزاء الجسم . وان نبضها دليل عليها لان النبض هو « كلام القلب الداخلي » . هذا التعريف كاف لان يظهر انهُ كان لدى اسلافنا فكرة عن دورة دموية وان كانت غير تامة وعن ماهيَّة النبض وعلاقته بضربات القلب لان وصفه بأنهُ « كلام القلب الداخلي » دليل قاطع على اتصاله بحركات العضلة القلبية . لكننا بجانب ذلك نجدهم يظنون احياناً ان هذه الاوعية تحمل دماً او ماء او مواد اخرى . وهذه الظنون توارثها الخلف مدى الدهور من شرقيين وغربيين حتى ظهرت مبادىء الطب الحديث . ويأبى التاريخ المصري الاَّ ان يكون مثال العجب . وتأبى المدنية المصرية الاَّ ان تكون انموذج العبر . لذلك نجد انهم

في الوقت الذي نراهم يتكلمون عن وجود مياه ومواد اخرى بالاوعية يفسرون بعض الامراض بأسباب اقل ما يقال عنها انها مطابقة لاحدث الآراء عندنا . فانهم يقولون ان كثيراً من العلل ناجم من مرض الاوعية وعدم قيامها بوظائفها الطبيعية . وان العلاج حينذاك يجب ان يوجه الى تعزيز الاوعية او تسكينها او تجديدها او ابطاء دورتها بالعقاقير الخاصة . وهذا من العجب العجاب

هكذا كان موقف العلماء الاثريين من الطب المصري القديم الى عهد قريب . لكن حدث منذ عشر سنوات تقريباً ان اكتشف درج بردي يعرف باسم صاحبه (ادوين سميث) أنار الظلام الحالك الذي كان مخيماً على هذا الموضوع . ورفع منزلة الطب المصري القديم الى ذروة المجد والفخار . فتغيرت به آراء الباحثين . وانزوى من اجله كل منتقد وراء الستار . وخرس كل همّاز مشّاء بنميم . وظهر وقتئذ ان الادراج البردية السابقة هي في الحقيقة ادراج كانت تتداولها العامة وانها مزيج من الرأي العفي والجهل العامي . اما قرطاس (ادوين سميث) المذكور فوجد انهُ مثال الكتاب الطبي من حيث ترتيب مواده التي تبدأ بأمراض الرأس اولاً ثم اعضاء الجسم التي تليه حتى القدمين ، واحتواؤه ايضاً على كثير من اصول الجراحة وبالاخص جراحة العظام والاجزاء السطحية . اما شرح حالاته فعلى غاية من الدقة والنظام . فكاتبه يبدأ بذكر اسم الداء ثم طريقة فحصه ثم تشخيصه ثم علاجه وانذاره . وهو الاسلوب الذي يدرس الآن في كلياتنا الحديثة . وكثيراً ما يذكر الكاتب اسفل كل حالة ملاحظات تفسيرية تظهر مهارة عجيبة في معرفة المرض وطريقة فحصه والسبب الذي احدثه . واغرب من هذا وذاك ان الاساتذة الذين راعهم هذا المستوى الطبي العالي في هذا الدرج استرعت نظرهم عبارة واردة في ظهره خاصة بطريقة ارجاع الشيخ الى صباه [1] . فقال بعضهم هذا دليل قاطع على مزج الطب بالشعوذة . لكن هل محاولة الرجوع الى الشباب ضرب من الشعوذة . ان ابحاث الاستاذ فرنوف كفيلة بالاجابة على هذه التخرصات . والغريب ان معظم المعلومات الطبية يرجع تاريخها الى عهد الاهرام (٢٦٠٠ — ٢٢٠٠ ق.م.) ذلك العصر الذي ابتكر تشييد المباني بالاحجار وابتدع الهندسة المعمارية وهندسة الابعاد والحساب والقانون والسياسة والفنون الجميلة وغير ذلك

ان الالمام بهذا الموضوع في فصل واحد أمرٌ محال . محال لكثرة مباحثه وغزارة مادته . لكنني سأجتهد ما امكن في ايضاح هيكله . ليتمكن القارىء من تكوين فكرة عامة عنهُ لان البحث في الطب الفرعوني يتطلب اولاً دراسة الكتب المصرية القديمة البردية المسماة ادراجاً او قراطيس . ثانياً البحث فيما وصلت اليه معارفهم في فن التحنيط خاصاً باجزاء جسم الانسان . ثالثاً البحث في الآثار من تماثيل ونقوش ومومياءات مما له علاقة بالامراض وطرق العلاج والجراحة . هذه باختصار النواحي الثلاثة المهمة التي اريد ان اعرض لها الآن

(١) الغرض من هذه الوصفة هو ازالة التجعدات الجلدية وتغيرات كبر السن بالوجه . وتتلخص في اغلاء نبات يقال له عابث يعمون النوع بعد دقات ثم دهن الوجه بالمعجون الناجم من هذا الاغلاء . وهذا النبات قريب في اسمه من « حسن يوسف » الذي لا يزال مستعملاً عند العامة للآن لنفس الغرض

القسم الاول

١ — ﴿ الكتب الطبية القديمة او الادراج او القراطيس ﴾ قرطاس ايبرس . هو أضخم هذه الكتب . عثر عليه بمقبرة الاقصر مع قرطاس ادوين سميث عام ١٨٦٢ م . واشتراه الاثري الالماني ايبرس حينذاك . وهو الآن محفوظ بمتحف ليبزج بألمانيا وفي حالة جيدة جدًّا . وعلى ظهر هذا القرطاس دوّنت تواريخ هامة ساعدتنا كثيراً على معرفة مدة ازمنة مجهولة . والمعروف ان هذا القرطاس دوّن حوالي عام ١٥٠٠ ق . م . لكن لغته واعتبارات اخرى فيه تدل على انهُ منسوخ من كتب اخرى اقدم منهُ بقرون عديدة . خذ مثلاً ما ورد في احدى عباراته من انها مأخوذة من وصفة من الاسرة الاولى (٣٤٠٠ ق . م .) وفي اخرى انها من زمن احدى ملكات الاسرة السادسة . لكن ذلك لا يعني ان نأخذه قضية مسلمة . لان المصريين كانوا كثيراً ما ينسبون معلوماتهم الى اجدادهم اعلاء لشأنها وزيادة في فائدتها . لذلك نجدوننا لا نعتمد كثيراً على مثل هذه العبارات بل على نوع الخط والقواعد النحوية واساليب التعبير مما يتغير بالتدريج مع الزمن . وعلى ذلك فلا يبعد ان يرجع تاريخ الكتب التي نسخ منها كتاب ايبرس الى الاسرة الثانية عشرة او الثالثة عشرة (حوالي القرن العشرين ق . م .) . ولو ان به بعض عبارات من المحتمل ارجاعها الى عهد اقدم من هذا بكثير

وكتاب ايبرس يحوي وصفات عديدة لامراض كثيرة متباينة . وكل وصفة مكوّنة من عدة جواهر . وامام كل جوهر مقداره اللازم . وآخر كل وصفة طريقة تعاطي الدواء . وهناك اجزاء لا تشمل العلاج فقط بل اعراض المرض وطريقة تشخيصه . وقد تضاف الى ذلك ايضاً بعض عبارات ايضاحية . ولا يسع الباحث في هذا القرطاس الاّ ان يستنتج بانهُ مجموعة كتب صغيرة بعضها طبي والبعض الآخر روحاني . وكتابة هذا القرطاس في شكل أعمدة أشبه بجرائدنا اليومية . ويبلغ عددها المائة وعشرة أعمدة . وعدد وصفاته ٨٧٧ وصفة

٢ — ﴿ قرطاس هيرست ﴾ اكتشف عام ١٨٩٩ بدير البلاص بالصعيد . وفي عام ١٩٠١ اشتراهُ الدكتور ريزنر الاثري واهداهُ الى جامعة كاليفورنيا بامريكا . واوائل هذا الكتاب قد تلفت نوعاً . والباقي في حالة جيدة جدًّا . وهو يحوي خمسة عشر عموداً من النصوص الطبية . ويرجع تاريخه الى حوالي ١٥٠٠ ق . م . وفيه شبه كبير بقرطاس ايبرس السابق . حتى ان بعض عباراته مطابقة في كلياتها وجزئياتها لبعض عبارات قرطاس ايبرس . ويبلغ عدد وصفاته ٢٦٠ وصفة

٣ — ﴿ قرطاس برلين الطبي ﴾ احدث عهداً من القرطاسين السابقين . لكنهُ يحوي عبارات قديمة العهد . وعباراته مكتوبة باهمال ومحشوّة بالاخطاء . وتحوي ٢٤٠ وصفة . عدا في ذلك العبارة المذكورة على ظهره الخاصة بمعرفة العقم ونوع الجنين في الرحم . وكان العثور عليه في القرن التاسع عشر

بواسطة بسالاكا بمقبرة في سقارة يرجع تاريخها الى عهد رمسيس الثاني (١٢٩٢ — ١٢٢٥ ق . م .)

٤ — ﴿ قرطاس كاهون الطبي ﴾ اكتشفهُ السير فلندرز بتري عام ١٨٨٩ اثناء القيام بحفائره في جهة الفيوم . وهو اقدم من القراطيس المذكورة اعلاه . ويرجع تاريخه الى عهد الاسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ — ١٧٩٠ ق . م .) . وهو ممزق . لكن نصوصهُ واضحة . وهي خاصة بفن الولادة وامراض النساء . وتحوي ٣٤ وصفة

٥ — ﴿ قرطاس لندن الطبي ﴾ اقلهُ روماني ويرجع الى زمن الاسرة التاسعة عشرة (١٣٥٠ — ١٢٠٠ ق . م .) ولو ان عباراته اقدم بكثير من ذلك . وهو محفوظ في متحف لندن تحت رقم ١٠٠٥٩

٦ و ٧ — ﴿ قرطاسا متحف ليدن وتورين ﴾ هما قرطاسان طبيان روحانيان يحويان قليلاً من الوصفات الطبية

٨ — ﴿ قرطاس (ادوين سميث) الطبي ﴾ هو اهمها كان العثور عليهِ بمقبرة بالاقصر عام ١٨٦٢ م . وفي تلك المدة اشتراه المستر (ادوين سميث) وقد اعتراه بعض التلف وفقدت بعض نصوصه . لكنهُ اهتدى اليها واشتراها بعد ذلك على دفعتين . ثم توفي وانتقل القرطاس بعد ذلك الى ابنته (ليونورا سميث) التي اهدتهُ الى الجمعية التاريخية بنيويورك . ويبلغ طول القرطاس الآن ٤٫٦٨ متراً . اما يظن انهُ كان يبلغ خمسة امتار طولاً . ويتراوح عرضه بين ٣٢ و٣٣ سنتيمتراً وهو يقرب من قراطيس القديمة التي يرجع تاريخها الى ما بين المملكة الوسطى (٢١٠٠ — ١٧٠٠ ق . م .) وعهد الامبراطورية (١٥٥٥ — ٧١٢ ق . م .) وفي هذا القرطاس اثنا عشر لوحة متعاقبة وتحوي ٢٢ عموداً من النصوص المصرية القديمة منها ١٧ رأسية و ٥ أفقية . ويظن ان هذه النصوص المصرية القديمة كتبها عدة اشخاص لاختلاف واضح في الخط

وبمقارنة الخطوط المصرية القديمة التي في هذا القرطاس بالخطوط المستعملة ايام ملوك الزعاة لوحظت بينهما مشابهة كبيرة . وعليه فلا يبعد ان تاريخ هذا القرطاس يرجع الى القرن السابع عشر قبل الميلاد . ويلاحظ ايضاً ان كاتب هذا القرطاس كان يجيد الخط لكنهُ لم يكن طبياً . وانهُ ترك بعض الاحرف بدون ذكرها . وراجع كتابته وصححها بالمداد الاحمر فوق الاسود وبالمداد الاسود فوق الاحمر . وتشتمل السبعة عشر اعمدة الرأسية على شرح ٤٨ حالة مرضية لم يذكر لها شيء من الادوية . وهذه الحالات تبدأ بالرأس وتنتهي بالقدمين وهي موصوفة وصفاً دقيقاً كما يشاهد ذلك في الحالة المرقوم لها بالرقم ١٨ وتعريبها : —

تعريف عن جرح عظمة الوجه zygoma

الفحص اذا فحصت مريضاً بجرح غير مشقوق (اي وخزي) واصل الى العظم أدخل المسبر فيهِ فان وجدت عظمة الوجه سليمة شخّص الحالة بانها جرح فوق عظمة الوجه وهي حالة قابلة للعلاج

العلاج : ضع على الجرح لحماً صابحاً في اليوم الاول . بعد ذلك ضع عليهِ زبداً وعسلاً يومياً الى ان يتحسن

ملاحظة : اذا كان الجرح غير متسع الفتحة وواصلاً الى العظم فهو جرح صغير واصل للعظم ليس فيهِ شقّ بل هو ضيق ولا توجد شفتان له (وهذا منتهى الدقة في وصف الجرح الوخزي) اما من خصوص مكان الوجه المصاب فهو الموضع الكائن بين تجويف العين وفتحة الاذن خلف الفك

وعلى هذا المثال وردت في القراطيس احوال كثيرة من الامراض . وقد ذكر الكاتب المصري ان بعض الحالات عسرة العلاج . وهذه ملاحظة جديدة لم تستعمل سابقاً في الادراج الطبية . ويبلغ عدد الامراض التي يعرف علاجها وتتذكر اربعة عشر مرضاً . وبذلك امتاز قرطاس ادوين سميث عن غيره بشرح الحالات الممكن علاجها والعسرة الشفاء . وصرف النظر عن ذكر الوصفات الكثيرة التي تشاهد في باقي القراطيس الطبية

***

وتشاهد في هذا القرطاس ملاحظات كثيرة واردة بعد شرح كل حالة . بخلاف ما هو متبع في القراطيس الطبية الاخرى . وهذه الملاحظات تظهر لنا ما وصل اليهِ اطباء المصريين من علم التشريح فتزيد معلوماتنا الحالية في هذا الموضوع . وورد في هذا القرطاس عدة كلمات طبية لم يرد ذكرها في عبارات القراطيس الاخرى من ذلك لفظ (جا) الذي ظهر من الوصف انهُ يعني عظمة الوجه zygoma وكذلك كلمة (امعت) التي وصفها الكاتب بانها تعني الجزء الخلفي للفك السفلي (وهو المعروف باسم Ramus) وقد شبههُ الطبيب القديم بمخلب الطائر . ولا يزال التشبيه مستعملاً عندنا في احوال طبية متباينة مثل لسان التوت Rasberry tougue ولسان الشليك Strawberry tougue والورم الشبيه بالكمثرى Pyriform tumour . وورد في الحالة المرقومة بالرقم ٨ ان الطبيب كان يميز في احوال جروح الجمجمة بين كسور العظام وتلف الانسجة التي فوقها

***

ومما يدل على مهارة الطبيب تحريّه للوقوف على سبب المرض حيث اورد لنا ما تعريبه : « آخر حالة من امراض العمود الفقري بالعنق هي اصابةُ بمرض (سحم) وفيهِ يفقد المريض سمعه وكلامه ويصاب بشلل بذراعيه ورجليه . ويقول الطبيب حينذاك ان الحالة خطرة . وان الاصابة عبارة عن تدخل احدى حلقات العمود الفقري في حلقة اخرى نتيجة سقوط المصاب على رأسه من اعلى الى اسفل . وان ذلك يمنعهُ من رفع رأسهِ وحمل ثقلها على عنقه »

ومنهُ يتضح ان المقصود بمرض (سحم) هو تدخل حلقات العمود الفقري بعضها في بعض . (حالة رقم ٣٣ بالقرطاس)

القسم الثاني

الى هنا انتهى ما اردنا ايراده عن القراطيس الطبية الهامة . وسنبحث الآن في المعلومات التي اكتسبها قدماء المصريين من مزاولة فن التحنيط آلاف السنين العديدة . فنقول ان الاجراءات الكثيرة التي اتبعها قدماء المصريين في التحنيط هيأت لهم الوسائل لمعرفة احشاء الجسم الداخلية من حيث شكلها ونوعها وعلاقتها بعضها ببعض مما لم يتيسر لاي عنصر بشري آخر . وبديهي ان التحنيط له تأثير كبير على تاريخ الطب لانهُ عوّد اذهان الشعب على احتمال قطع الجثث الميتة واخراج احشائها وذلك لمدة طويلة من الزمن تُربي على العشرين قرناً . وهكذا تمكن اطباء اليونان في عهد البطالسة ان يشرّحوا الجثث تشريحاً علميًّا في الوقت الذي كان مثل هذا العمل محرَّماً في سائر انحاء العالم (راجع مقال الاستاذ اليوت سميث في مجلة العاديات المصرية ج ١ ص ١٩٠)

ومعلوم ان التحنيط يستوجب استخراج الاحشاء الباطنية والصدرية والتأثير فيها بالعقاقير . لذلك كانت هذه العملية درساً تشريحيًّا قيماً لمن يقوم بها . وجميع الاحشاء (ما عدا القلب الذي كان يترك غالباً في موضعه) كانت تفصل اولا من الجسم ثم تغسل على حدة ثم تحنط بالطريقة المختارة واعتاد القوم بعد تحنيط هذه الاحشاء ان يضعوها في اربعة اوانٍ تحت حماية اولاد حوريس الاربعة ومنذ عهد الاسرة التاسعة عشرة (١٣٥٠ — ١٢٠٠ ق . م .) بدأ القوم يصنعون اغطية لهذه الاواني بهيئة رؤوس اولاد حوريس المذكورة وهي (رأس آدمي ورأس نسر ورأس ابن آوى ورأس قرد) . لكن في عهد الاسرة الحادية والعشرين (١٠٠٠ — ٩٥٥ ق . م .) اندثرت هذه العادة الدينية واكتفى القوم بلف تلك الاحشاء في اغلفة كتانية مع تماثيل صغيرة لاولاد حوريس المذكورة ثم وضعها بالتالي داخل الجسم المحنط . وبديهي ان طرق التحنيط التي اتبعها المصريون افهمتهم كثيراً عن مظاهر الاحشاء واشكالها وعلاقتها بعضها ببعض داخل الجسم بل ومقابلتها باحشاء الحيوانات الاخرى التي كانت منذ اقدم العصور المعروفة تذبح وتقطع وتقدم قرباناً للآلهة او غذاءً لاصحابها . ومما هو جدير بالذكر ان الخط الهيروغليفي (الذي يرجع ابتكاره الى ما قبل حكم الاسر بمدة طويلة) لا يحوي من الاشارات الخاصة باجزاء الجسم او الاحشاء الداخلية الا ما له علاقة بالحيوانات فقط مما يدل على ان معرفة المصريين الاقدمين لتشريح الحيوانات كانت اقدم عهداً من معرفتهم لجسم الانسان . من ذلك اشارة القلب وتلفظ (اب) فانها تمثل قلب الثور لا قلب الانسان . كذلك اشارة الحلق والعنق فانها تمثل رأس الثور وحنجرته وقصبته . ثم ان اشارة الرحم تمثل رحم البقرة ذا القرنين . كذلك «الاذن» فهي تشبه اذن حيوان من ذوات الاربع . وعلى هذا النمط رسمت الاشارات التي تمثل الاضلاع والعمود الفقري والفخذ والاسنان . اما اشارات الخط الهيروغليفي التي تعني اجزاء جسم الانسان فتمثل الاجزاء الخارجية التي تعنيها من جسم الانسان فقط . وهذا دليل قوي على عدم معرفة القوم لاحشاء الانسان الداخلية وقت ابتكار الخط الهيروغليفي

ومن الادلة على معرفة القوم لاي علم من العلوم كثرة تعداد الالفاظ التي يستعملونها في تعبيراتهم في هذا العلم . واللغة المصرية القديمة تحوي ما ينوف على مائة اسم تشريحي لاجزاء الجسم مما يشير الى امكانهم التمييز بين اجزاء الجسم في الوقت الذي كان يتعذر ذلك على غيرهم من الامم . نعم ان تقسيم الجسم بواسطة قدماء المصريين الى اعضائه المتباينة لم يشمل الا الاعضاء الكبيرة والمتوسطة الحجم ولم يحزم التمييز بين الاعصاب والعضلات والشرايين والاوردة . ولكن اساس علم التشريح على اي حال فضله راجع اليهم دون سواهم

اما فيما يختص بعلم وظائف الاعضاء فقد سبق ان ذكرت ما جاء بقرطاس ايبرس الطبي بخصوص القلب والاوعية من ان القلب هو مركز اوعية الجسم وان هذه الاوعية تتفرع منه الى سائر انحاء الجسم وان النبض هو كلام القلب الداخلي وانهُ دليل هذه الاوعية حيث كانت . وهذه العبارة مأخوذة من كتاب اقدم عهداً من قرطاس ايبرس كما هو واضح من عنوان العبارة وتعريبه «مبدأ معرفة فن الطب . طريقة تفهم حركة القلب وسرّ النقل» . يلي ذلك بيان بسائر اوعية الجسم الدموية كل عضو بما يخصه . وبعض هذه الاوعية مطابق للحقيقة والآخر خيالي . لكن لم يذكر الكاتب شيئاً معيناً عن دورة الدم في الجسم بالرغم من ان البعض يرى ان ما ورد في العبارة المذكورة كافٍ لاثبات ان قدماء المصريين كانت لديهم فكرة عن هذه الدورة والثابت على كل حال ان هؤلاء القوم اعتبروا القلب اهم عضو بالجسم ومركز الفهم والانفعالات النفسية . فكان ذلك باعثاً على عدم نزع القلب من الجسم وقت التحنيط فكان القوم يتركونهُ محله متصلاً باوعيته الكبرى بالرغم من نزعهم لجميع الاحشاء الصدرية الاخرى حوله . وسوف نذكر عن معلوماتهم لوظائف الاوعية ما يطابق معلوماتنا الحديثة بصرف النظر عن البعيد منها عن الصواب . فقد روى هؤلاء القوم ان الانف يغذيه وعاءان دمويان وكل اقليم جداري بالرأس يغذيه شريانان وهاذان يغذيان ايضاً مؤخر العينين القريب منها واعتبرت الدموع من افرازات الجفون . ونسبت تغذية الشعر الى وعائين دمويين بمؤخر الرأس . وورد في القرطاس ان الهواء يدخل الجسم عن طريق الانف ثم الى الرئتين والقلب

وبخلاف ذلك نجد انفسنا امام معلومات وهمية بعيدة من الطب الحديث . ولا غرابة في ذلك فالطب حينذاك كان في مبدئهِ . والخزعبلات والتخرصات لا تقلل من اهمية جزئهِ السليم . والثابت ان تعدد المباحث والنظريات وتنقلهُ دليل قاطع على شدة حرصهم على الحقيقة وولعهم بالفن واهتمامهم بجزئياتهِ وكلياتهِ . وهو سعيٌ مشكور وجهدٌ مبرور

اما علم الامراض وطبائعها المعروف بالپاثولوجيا فليس من السهل تفهمهُ من مخطوطات هؤلاء القوم لعدة اسباب . اهمها عدم معرفتنا لمدلول الالفاظ العديدة . ثم اننا لو فرض وعلمنا المدلول بوجه عام فهناك عدة اسماء لامراض متشابهة المعنى متباينة التخصيص . خذ مثلاً ما ورد بقرطاس ايبرس عن الاورام فانهُ يحوي حوالي الستة اسماء لختم الحالة المرضية . ولا نزال نجهل نوع المرض

بالضغط الذي يمنيه الكاتب في هاته الاحوال . فمدلول الضغط الحقيقي لا يزال غامضاً . ومن الجائز جداً ان هذه الاورام تحزم لحراجات بانواعها واورام البلهارسيا وغير ذلك . والمحتمل ان معظم الامراض التي كانت تهم القدماء وعثر هي نفس الحالات المتفشية اليوم بين الفلاحين كالديدان المعوية والرمد الحبيبي والبلهارسيا والحراجات المختلفة ولسع الحشرات ولدغها والتهاب المهبل والاذن الوسطى

واقدم العمليات الجراحية التي قام بها قدماء المصريين خلاف التحنيط هي عملية الختان التي كان ينظر اليها من وجهة دينية اكثر من الوجهة الطبية . وقد كانت معلوماتنا الى عهد قريب عن جراحة قدماء المصريين محصورة فيما هو وارد بالجزء الاخير من قرطاس ايبرس لكن لما اكتشف قرطاس ادوين سميث وجدت فيه معلومات كثيرة من هذه الناحية . وقد سبق ان المعنا الى ان هذا القرطاس مقسم بحسب الحالات لا بحسب العلاج . وهو خاص بجروح سائر اجزاء الجسم من الرأس - الى الصدر . وما عدا ذلك فلا يزال مفقوداً . وهذا الترتيب دليل على اتقان التقسيم ومراعاة النظام العلمي

القسم الثالث

والآن ننتقل الى القسم الثالث وهو الخاص بامراض قدماء المصريين التي وجدت بمقابرهم وجثثهم. فنقول ان الكسورات البولية بالثانة وجدت في جثث قبل عهد الفراعنة وحصوات الكلى في جثث من عهد الاسرة الثانية (٣٠٠٠ ق . م .) وحصى الكبس الصفراوي في موميا من عهد الاسرة الحادية والعشرين (١٠٠٠ — ٩٤٥ ق . م .) وعثر الدكتور روفر على بويضات البلهارسيا في كلى موميات من عهد الاسرة الحادية والعشرين

وذكر الاستاذ شاتوك وصفاً لمرض الاورطي بجثة الملك منفتاح وذلك بمجلة Lancet ١/٣٠ ١٩٠٩ وايضاً الدكتور روفر فانه اورد كثيراً من امراض هذه الاوعية في مجلة Jour of Path. & Bact ج ١٥ سنة ١٩١١ . وعثر الاستاذ ايليوت سميث اثناء فحص موميات من الاسرة الحادية والعشرين على حالة واضحة لداء بيوت وخراج بارد بالظهر وتقوسات عديدة بالعمود الفقري ودرن بعضل الفخذ . وعثر على ورم خبيث من نوع osteo-sarcoma وورم (لحمي) في رأس عظمة الفخذ بموميا من عهد الاسرة الخامسة بالجيزة (٢٥٦٠ — ٢٤٣٠ ق . م .) ولم يعثر على حالات carcinoma (سرطان) حتى العهد اليوناني حيث وجدت في الانف والحلق والمستقيم

وهناك حالتان لمرض الخنصف elipes وجدت احداهما في موميا الملك سيتاح (١٢١٠ ق.م.)[1] والثانية بجثة قسيس من عهد الاسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ — ١٧٩٠ ق . م) . ووجد الفرس aous في جثة رجل هرم بجزيرة الفيلة من اوائل العهد المسيحي حيث لوحظت رسوب املاح بيض كثيرة فوق العظام المشطية لابهامي القدمين واخرى حول عظام باقي اصابع القدمين وايضاً فوق عظمتي الساقين والشظيتين ونتجة نظامية للردفتين والاوتار الخلفية للساقين . وايضاً بعظام اليدين

(1) Elliot Smith Royal Mummies Cairo 1912 p 71.

والذراعين . وهذه الجثة محفوظة الآن في متحف كلية الجراحين الملكية بلندرة

اما تلف الاسنان فنادر في الجثث التي يرجع تاريخها الى ما قبل عهد الاسر . كذا في موميات الفقراء الذين كانوا يقتاتون بالاغذية السليمة كالخضراوات الغير مطبوخة . اما الموميات التي وجدت في عهد الاهرام وبعده (لما دخل البذخ على معيشة المصريين وعمت الرفاهية منازلهم) فانها وجدت مصابة بتلف الاسنان وخراجات التكيس مع رسوب الطرطير بشكل واضح

وكثيراً ما عثر على التهاب المفاصل الشبيه بالروماتزم Rheumatoid arthritis في موميات مصر والنوبة حتى ليندر وجود جثة من تلك الازمنة العتيقة سليمة من هذا الداء [1] ووجدت عدة حالات لالتهاب العظام في جثث العهد القديم وهذه تشمل التهاب الانف المزمن والتهاب النتوء الخلمي للاذن وتقيحات عظام الجمجمة وعدة حالات تخلع المفاصل وكسور العظام معصوبة بنتائج متباينة من التحام جيد الى مضاعفات غاية في الخطورة

ومومیا رمسيس الخامس مصابة بطفح الجدري . وفي نفس الجثة آثار لقيلة مائية بالصدغ

وشوهدت اعراض التهاب الزائدة الدودية في مومیا سيدة من العهد البزانطي واخرى مصابة بالتصاقات بطوراوية بالرئة اليسرى حيث وجدت الرئة المذكورة في حالة انكماش . وحالات تسقوط الامعاء وسقوط المهبل . وعثر الدكتور جرنفل على أثر لمرض برحم مومیا في العهد الفارسي [2]

وعدا الامراض التي وجدت بالموميات المصرية توجد عدة تماثيل ورسوم على جدران المقابر تظهر لنا حالات مرضية خلاف المذكورة اعلاه . فشاهد قبر الكاهن روما السوري الاصل المحفوظ الآن بمتحف كوبنهاجن بالدانمارك يحوي رسماً للكاهن المذكور مصاباً بشلل طفلي بالرجل اليمنى . اما رسوم وتماثيل الاقزام في العهد الفرعوني فكثيرة للغاية وهي تمثل مرض Achondroplasia اوضح تمثيل . وهناك رسوم على الآثار لمرض الكساح ومرض دردن العمود الفقري (پوت) . ويلاحظ على تمثال الملك اخناطون (اسرة ١٨) اعراض مرض Dystrophia Adiposo Genitalis التي تتلخص في تأنيث الشفتين وبروز البطن واطالة الجمجمة وكبر الفك السفلي واستسقاء خفيف بالدماغ [3] .

بقي علينا الآن ان نذكر شيئاً عن عقاقير قدماء المصريين وما بقي منها محافظاً على مركزه بين الادوية الحديثة . والبحث في هذا الموضوع ليس بالهين . لاننا لا نزال نجهل مدلول معظم اسماء هذه العقاقير . نعم ان هناك مئات من الجواهر ذات الاصل الحيواني والنباتي والمعدني مذكورة ضمن الوصفات لكننا لا نزال نجهل معظم هذه الحيوانات . وكل ما يمكننا معرفته هو الجزء الخاص من الحيوان مثل شحمه او لحمه او دمه . اما الحيوانات المعروفة التي كانت اجزاؤها تستعمل في التطبيب فهي الثور والحمار والماعز والغزال والوعل والخنزير وفرس البحر والأسد والفأر والوطواط

(1) Arch. Survey of Nubia Report-1907-8 (2) Philosophical Transactions 1825
(3) El. Smith. Jamb. Univ. Med. Soc. Mag. Vol IV No. 1.

والقنفذ والاوز والخطاف والنسر والهدهد والضفدع والثعبان والسلحفاة وعدة انواع من السمك واما النباتات التي كانت تدخل ضمن الوصفات فلا تزال تجهل اغلبها . وكان القوم يستعملون كل النبات او ورقه او بذره او فاكهته او عصيره او جذوره او راتنجه . .

وقد كان استعمال الاجزاء الحيوانية كالسابق ذكرها معتبراً في القرن التاسع عشر مثال الجهل بالعلم والخلط بالشعوذة . لكن المباحث الحديثة اظهرت لنا العجب العجاب

فاصبحنا الآن نعلم ان بعض الامراض ناجم عن قصور غدد الجسم وهذه تعالج بتعاطي ما يقابلها من غدد الحيوانات . فمرض المكسيديما ناجم عن فشل الغدة الدرقية ويعالج بتعاطي هذه الغدة المأخوذة من الثور . كذلك مرض ادرار البول الغير سكري (ديابيطس انسبيدس) فهو ناجم عن فشل الغدة النخامية Pituitry ويعالج بتعاطي خلاصة هذه الغدة المعروفة باسم بتروترين Pitruitrin والانيميا الخبيثة التي هي نتيجة قصور الكبد تعالج الآن بتعاطي هذا العضو نيئاً من اي حيوان . ويرى البعض ان تعاطي المعدة النيئة كان ايضاً لشفاء هذا الداء القتّال . كذلك مرض التكزز tomay فيعالج بخلاصة الغدة المتاخمة للدرقية . وهكذا . . . . . هذا من جهة الامراض الناجمة من فشل الغدد . لكن هناك امراض اخرى ناجمة من قلة الڤيتامين بالجسم مثل الكساح والبلاجرا وهي امراض مصرية قديمة تعالج الآن بالڤيتامين (د ـ D) في حالة الكساح المستخرج من كبد السمك . والڤيتامين B 2 في حالة البلاجرا وهو كثير في الخرم والخميرة والحبوب . وبعد كل هذا يحق لنا ان نتسأل هل كان أجدادنا طالعين بخواص الاعضاء الحيوانية وانواع النباتات حتى اكثروا من وصفها لامراضهم كما نصفها نحن الآن

وما اوردناه عن صعوبة معرفة الحيوانات والنباتات الطبية ينطبق تماماً على الجواهر المعدنية المذكورة ضمن الوصفات العديدة

والسائل الذي تتعاطى العقاقير معه هو عادة الماء او اللبن او الشهد او النبيذ او الجعة . اما الدهان والمروخ فأغلب وصفاتهما تحوي الشهد او الصمغ او الراتنج او شحوم حيوانات متعددة . وكانوا احياناً يتعاطون العقاقير جافة بشكل مسحوق . وأحياناً ينقعونها او يغلونها او بين بين . وجرت العادة ان الادوية الظاهرية كانت تستعمل بالدهك او بالدهان او بشكل لبخ . وكثيراً ما وصف القوم الحبوب والاقراص المستحلبة والاقماع . ويذكرون آخر كل وصفة طريقة الاستعمال كما تفعل الآن تماماً . فكانوا يقولون مثلاً يؤخذ هذا الدواء ليلاً او نهاراً ، قبل الغذاء او بعده ، وهكذا . وأمام كل جوهر مقداره اللازم مما يشير الى عنايتهم بعلم الاقرباذين

والى قدماء المصريين يرجع كثير من الفضل في ابتكار عدة عقاقير لا تزال تستعملها للآن . منها النشادر (وكانوا يستخرجونه بسحق او حرق قرون الحيوانات أو اظفارها او حوافرها او عظامها) وذلك بشكل بخور او علاج مرضي . وهذه الطرق المبدئية في استخراج النشادر

واستعماله هي الاصل في بقاء هذا الدواء في الطب اليوناني والسوري والعربي والاوربي في عهد القرون الوسطى . وكان يطلق عليه في القرون الوسطى اسم « hartshorn » ومعناه قرن الايل . ومحلول النشادر المائي لايزال يعرف في وقتنا هذا باسم Liq. Ammoniae او "Spirits of Hartshorn"

ومن اهم عقاقير النبات قشر الرمان . وهذا النبات قديم العهد في مصر . وكثيراً ما عثر على فاكهته بالمقابر الفرعونية. ووردت بقرطاس ايبرس وصفة لطرد الديدان من الامعاء تتلخص في سحق قشر الرمان وتزج ذلك بالماء ثم تعاطيه (ايبرس لوحة ١٦ سطر ١٥—١٨) . واستمرت هذه الوصفة متبعة عدة قرون في بلاد متنوعة كآشور واليونان والعرب . وهناك وصفات مصرية قديمة تحوي الشبث (Dill) والكزبرة (Coriander) والكمون (Cumin) والكراوية (Caraway) والحلبة (Fenugreek) وكان الأزيون يقولون باستعمال البيروح او الماندراقورا (ويقال له Podophyllum) في الطب الفرعوني لكن ذلك لم يثبت للآن . نعم انهُ عثر على فاكهة هذا النبات بمقبرة توت عنخ آمون . لكن ذلك كان بقصد الزينة فقط . والرأي السائد ان هذا النبات ليس مصريًا بل استجلب من الخارج للزينة . وان النبات المسمى بالمصرية (ديدي) لا يعني البيروح

***

قال هيرودوتوس وديودوروس واسترابون وغيرهم ان المصريين زرعوا نبات الخروع واستخرجوا من بذوره زيتاً استعملوه للاضاءة . وقالوا ان هذا النبات كان يعرف وقتئذ باسم (كيكي) لكن هذا ليس صواباً . والثابت ان زيت الخروع بالمصرية اسمه (دجام) . وهناك نص مصري في متحف اللوفر بفرنسا من الاسرة السادسة والعشرين يقول باستعمال هذا الزيت للاضاءة اما اسم الشجرة النباتي المعروفة به الآن فهو Ricinus وورد بقرطاس (ايبرس) علاج لاطلاق البطن يتلخص في مضغ حبوب الخروع وتعاطيها مع الجعة . ووصفة اخرى لاسكان الالم تتلخص في التدليك بزيت الخروع . . . وكان القوم يتعاطون بذور الخروع للامساك والضعف العام والصداع وغير ذلك

واهم العقاقير المعدنية التي كانوا اول من استعملها في الطب هي السلقون (red lead oxide) والشبّة وملح الطعام وكربونات الصودا والنطرون. واليكم مثال لوصفة لطرد الديدان المعوية (ايبرس لوحة ١٣ سطر ١٢ — ١٥) :—

حبوب شجرة (نوزم)	١	سحق . امزج معاً . تجرعه على اربعة أيام . هذا الدواء يطلق البطن
لبن	١	
عسل نحل	١	
حبوب الحلبة	١	
نبيذ	١	

وذكر قدماء المصريين امراضاً عديدة تصيب العيون وبالاخص اجفانها . ويظهر ان الشعرة كانت كثيرة عندهم . وانهم كانوا يستأصلونها بالنتف . والقراطيس البردية تحوي عدداً وفيراً من وصفات العيون يمنعنا ضيق المقام عن ذكرها . واهتم القوم بأمراض الاذن وعالجوها بالعلاجات الموضعية . واستعملوا لذلك الشبة وصفراء الثور والمر . وحقنوها بالنبيذ وغيره [1]

اما الطب المصري في اواخر عهد الفراعنة فوردت عنهُ بعض قراطيس تحوي وصفات عجيبة تطابق كثيراً من وصفاتنا . خذ مثلاً ما جاء منها في احد القراطيس [2] (١٠٠ ب . م .)

﴿ المرهم الاصفر للجروح المتقيحة ﴾ كالمين (كربونات الزنك الخام او حجر التوتية) ٤ درهم ابيض الرصاص ٨ درهم دقيق ناعم ٤ درهم اكسيد الحديد ferric oxide ١ درهم زعفران ١ درهم افيون ٣ اوقيات صمغ ٤ درهم ماء

﴿ لايقاف النزف ﴾ مسحوق الشبة يبطل النزف حالاً

﴿ للارق ﴾ سيكران Henbane او Hyoscyamus ... بنسون ١ درهم افيون ٤ اوقيات تمزج معاً . وتتعاطى بطريق الفم

وهناك قرطاس بردي قبطي (٨٠٠—٩٠٠ ب . م) يقال له قرطاس المشايخ [3] يحوي حوالي ٢٣٧ وصفة . منها الوصفة الآتية لالتهاب الاذن الحاد . افيون . دهن مجل . لبن . امزجها معاً . ثم دفئ المزيج وضعه في الاذن . فان الالم يسكن حالاً . لكن حذار ان تصف هذا الدواء قبل ان تأخذ أجرك . وتعلمون ان السر في ذلك راجع الى الافيون الذي يسكن الالم لوقته . وان زوال هذا الالم وراحة المريض قد يقنعانه في عدم الحاجة الى الطبيب فيبخل عليه باتعابه وهكذا بدأنا نشعر بالمين الذي كان يقع على زملائنا الاقدمين اذا ما صادف علاجهم نتيجة ناجعة

ما كان تأثير الطب المصري القديم على الحديث ؟ وكيف حصل هذا التأثير ؟ والى متى استمر ؟ . والجواب على ذلك ما اورده الاستاذ (وارن دوسن) [4] من ان جانباً كبيراً من معلومات ديوسقوريدس (٥٠ ب . م) وجالينوس (١٣٠ — ٢٠٠ ب . م) وبلينوس (٢٣—٧٩ ب . م) وغيرهم مأخوذة بطريقة مباشرة من القراطيس المصرية . وهذه المعلومات نقلت بواسطة هؤلاء القطاحل الى اطباء القرون الوسطى باوربا وصارت امم اركان الطب العشبي herbalist وتعاليم الطب القيّمة في القرنين السابع عشر والثامن عشر . وقد استمر الطب المصري محافظاً على جوهره بعد دخول المسيحية مصر الى ان ظهر الطب اليوناني الذي اخذ يتزحزح تدريجاً بصول الطب الفرعوني [5]

(1) Oxyrhynchus Pap. Grenvel & Hunt vol II No 234 p. 134-136
(2) Oxyrhynchus Pap. Hunt Vol VIII No 1088 p. 110—115
(3) E. Chassinat, Un Pap. Méd. Copte (Cairo 1921) No 114 line 242-3.
(4) Science Progress 1927 p. 223
(5) Proc. of the Roy .Soc. of Med. vol XVII pp 5—7, Warren Dawson